

الفصل السابع

التأثير

التأثير

إنَّ القسم الأخير من إعداد التقرير يبدأ في اللحظة نفسها التي يتم فيها الضغط على «إحفظ» على الكمبيوتر. بعد الوصول إلى المرحلة الأخيرة من الإنتاج، يبقى أمر واحد: أن يصل التقرير إلى القراء، المستمعين والمشاهدين. وهذا يشمل أشخاصاً يعرفون القليل عن الأجانب المهاجرين كما يشمل أهل الخبرة في الموضوع. ويشمل أيضاً جميع من تمت مقابلتهم من أجل التقرير، الذين سيحظون بفرصة رؤية شهادتهم تدخل الإطار الواسع للقصة.

ولحظة النشر هي أيضاً اللحظة التي تبدأ فيها القصة بإحداث أثر. كل ما تم عمله إلى حد الآن يصبح قيد الإمتحان: مرحلة البحث، والتواصل مع الأشخاص، الاختيارات عند صناعة المادة الإعلامية، والتفاصيل والأقوال التي تم ضمها إلى القصة وتلك التي لم تستعمل.

وتحدث العديد من المشتركين عن أهمية إطلاع من تمت مقابلتهم قبل النشر على أقوالهم. عمر سعادة، الذي صور مواداً لمنظمة غير حكومية في لبنان، ذكر أنه يجب الإتاحة للأشخاص المذكورين في القصة رؤية الموضوع النهائي ويتابع: «يجب حتى أن يحصلوا على الترجمة الدقيقة كأن يقال لهم هذه قصتكم، وهذه أقوالكم، وهذه المقدمة العامة».

تسعى شهرزاد سراج، طالبة وكاتبة من فرنسا، أن تطلع الأشخاص الذين تتناولهم في موضوعها على النسخة النهائية، وتقول: «أريد أن أتأكد من أنني لم أقم بأي خطأ أو فهمت أي شيء على غير حقيقته. عادة ما نعتقد أن قبول الأشخاص كافٍ، لكن يجب التركيز على مرحلة ما بعد هذا القبول». وهذا، تضيف سراج، يعتمد على من تقوم بمقابلتهم: «إذا كنت قد حاورت رجلاً مغتصباً، فلا داعي للتحقق من أي شيء، أما متى حاورت جماعات مهمشة فعليك أن تولي الأمر أهمية خاصة».

إن إدراك ديناميكية القوة المطبقة في كل موقف يساعد على القيام بهذه الخيارات. هل معدّ التقرير هو من في وضعية الهيمنة على من يقابله؟ فإذا كان الجواب إيجابياً، يجب السماح للأشخاص المذكورين في التقرير أن يروا كيف تم ذكرهم فيه وأن يوافقوا عليه. وإلا إذا كان الضيف هو من في وضعية السلطة – كمثل أن يكون ممثلاً رسمياً أو أحد السياسيين في خطاب علني – تكون الأدوار معكوسة، ويجب حينها نشر المعلومة كما وردت.



إلى جانب التدقيق في الأقاويل والإفادات التي وردت على لسان من تمت مقابلتهم، ثمة أساليب أخرى للتحقق من أن الأشخاص تمّ التطرق إليهم بصورة صحيحة.

تسأل ريان سكر من منظمة «كامبجي» بعض الأسئلة قبل نشر أي مقال «هل الأشخاص الذين تطرقت إليهم سعادة بكيفية تصويرهم؟ إذا كانوا من الأجانب أو من النازحين، هل سيقود ذلك إلى تغيير في حياتهم؟ ما هي الآراء المحتملة لمن سيقراً المقال أو يشاهد التقرير المصور؟» وتضيف: «يجب أن يوجد دائماً ما يربط القراء والمشاهدين بالأشخاص المذكورين في التقرير».

وتسعى إنجا هاجداروويتش، مرشحة الدكتوراه الباحثة في مجال الإغتراب، أن تنطبق مقالاتها على الخبرات الفعلية لهؤلاء الأشخاص علينا أن نعمل. وعلي أن أكون قادرة على نقل خبرات النساء اللواتي أقابلهن، كما خبرات المنظمات التي فتحت لي أبوابها. وعلى ما أكتبه أن يكون قوياً لدرجة أن يحفز الغير على القيام بعمل مماثل». وتختتم بالقول: «وهذا الأمر يتطلب مسؤولية فائقة».

ومع ذلك، يحصل أن يخالف معدّو التقارير ووسائل الإعلام نوايا وتمنيات الأشخاص في المقابلة. وأحياناً على حساب أمنهم الشخصي.

في العام 2018، نشرت الباحثة جوهانا فوستر والمحامية شيريزان مينولا دراسة¹³ عن قصص النساء الأيزيديات اللواتي تمت مقابلتهن من قبل صحافيين يعدّون تقارير عن العنف الجنسي.

ثمانية وخمسون في المئة من النساء قلن أن الصحافيين الذين قابلوهن خالفوا الآداب المهنية عن طريق الضغط عليهن للكلام أو الإخفاق في حماية هويتهن.

وخلال العام 2019، وأثناء تغطية اعتداء إرهابي على فندق في العاصمة الكينية نيروبي، تعرّضت وسائل إعلام عالمية للانتقاد بسبب نشرها لصور الضحايا، حتى في فترة استمرار الاعتداء. فقد صرّح¹⁴ الإعلامي الرميل جايمس سيغورو واهاتو للبي-بي-سي حينها أنه «غالباً ما تُستهلك وفاة الأفريقيين (...) في النشر دون أدنى اعتبار لخصوصيتهم أو لألم عائلاتهم».

وتلقت نيويورك تايمز انتقاداً مماثلاً في العام 2018، بسبب إيراداتها لتقرير عن الصحة النفسية في فترة ما بعد الحرب في سريلانكا. وتمّ طرح سؤال¹⁵ على تويتر عن مدى المهنية في نشر صور أشخاص يعانون من أمراض نفسية، حتى لو وافقوا رسمياً على هذا النشر كما تدّعي الصحيفة. وفي رأي البعض، لو تمّ استخدام مصوّر محلي في إعداد التقرير لكان الأمر مختلفاً.

«هل

الأشخاص الذين
تطرقت إليهم سعاد،
بكيفية تصويرهم؟»

«فناعب

دوراً كالميكروفون مثلاً».

13 | sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0277539517301905

14 | bbc.com/news/world-africa-46889822

15 | twitter.com/garikaa-lan/status/1070173084420730880?s=21/1070173084420730880?s=21

وروى لور مكارم من حركة مناهضة العنصرية موقفاً لم تحترم فيه احدى الصحافيات المرأة الأجنبية التي تقابلها. «في البدء، كانت الصحافية تطرح مواضيع عامة، فقد سألت العاملة الأجنبية عن قصتها وعن سبب تواجدها في لبنان. ثم تبدلت الأجواء. فالمرأة كانت قد طلبت اللجوء السياسي ولم يكن باستطاعتها العودة الى بلدها لأسباب سياسية». ويتابع مكارم: «يبدو أن الصحافية كانت تعلم بهذا الأمر، ومع ذلك، استمرت في طرح الأسئلة على الرغم من انزعاج المرأة».

وبعد المقابلة، «لاحظت اللاجئة أنها قالت أكثر مما كانت تريد قوله. لكنها لم تكن تعرف لا اسم الصحافية ولا رقم هاتفها. حاولنا إيجاد رقم الصحافية وسألناها أن تبقى بعض المعلومات محجوبة، ولم نعلم بما حصل إذ لم تشاركنا الصحافية ما كتبته».

وصرح العديد من المشاركين أيضاً أن الصحافيين والمتواصلين مع المنظمات غير الحكومية يشعرون أحياناً بالضغط لإظهار صور اللاجئين والنازحين كضعفاء وسليبين وضعفاء.

وأفادت ضحى قاضي أن منظمته قد وضعت استراتيجية للتعامل مع المتبرعين الذين يطلبون هذا النوع من المعلومات: «نقول أن لدينا سياسات وقواعد داخلية تنص على عدم إظهار الأفراد على أنهم في وضعية ضعيفة، وعدم إظهار أطفال ييكون، أو تصوير النساء على أنهم أفراد ضعفاء».

«ولا نطعمهم إلا على مضمون يحفظ الكرامة، فلا نطعمهم مثلاً على صور منزل غير نظيف أو غير مرتب. فهكذا صور تستعمل لتقاريرنا الداخلية الخاصة وليس لغايات إعلامية. نحن نستعمل نماذج متعددة بحسب اختلاف الأمور. مثلاً نحن نشارك المعلومات المفصلة حصرياً مع المتبرعين، فيما نظهر جانب آخر من القصة لوسائل التواصل الاجتماعي».

كما يجب اتخاذ الحيطة أيضاً لدى نشر الأرقام والإحصاءات التي تستند اليها وسائل الاعلام لتحفيز قصصها. إن تقديم معلومات دقيقة عن اللاجئين والنازحين مهم وبأني مسؤولية فائقة. فالأرقام لا تعني شيئاً من غير إطار يحويها، كما يسهل تحويلها لأهداف سياسية. أحياناً يتم تقديمها على أنها أرقام نهائية أو «حقيقية»، فيما نحن نخفل أن الإحصاءات هي دائماً تصوير شخصي للواقع، ويجب أن يكون مترافقاً مع آراء سديدة ومع شهادات حيّة.



يعتقد الصحافيون، أو أقله يرحون، أن عملهم سيؤدي إلى تغيير أو تحسين في العالم. إلا أن تقييم مفاعيل التقرير صعب، إن لم يكن مستحيلًا. فالآثار، على فرض حصولها، هي غير مباشرة وتمتد الى المدى البعيد. وتقول الصحافية أبي سويل: «بالنسبة الي كصحفية، يهمني أن يكون لمقالي تأثير على حياة الناس وأن يساعدهم. لكن الواقع أن هذا التأثير غالباً ما لا يحصل. وإن حصل، فنادرًا،

وعادةً عن طريق إسعاد الأشخاص لأن قصتهم سيتم سماعها». وبرأي الصحافية في برلين فاطمة الحاجي، يجب تحرير الصحافة من «ثقل» إنتاج تغيير. «قم بعملك كصحافي وكن لطيفاً مع الغير ومع ما يفعلون، تر النتيجة».

وقد تساءلت الحجي مراراً وتكراراً عما إذا كان باستطاعة الصحافيين المشاركة في التغيير الاجتماعي: «وصلت الى جواب. أنت كصحافي لن تحدث التغيير. أنت يمكنك فقط دعم الأشخاص فيما يودون تغييره».

ومع ذلك، يبقى لإعداد التقارير القوة لخلق التغيير. وكما ورد في العديد من الفصول، إنه يطرح القضايا ويضيء عليها. وبذلك، يكون سيفاً ذا حدّين. وتقول السيدة قاضي من منظمة سوا للتنمية والإغاثة أن الصحافيين يمكن أن يكونوا صلة الوصل بين الأشخاص الذين يقابلوهم وأشخاص السلطة. «أغلب اللاجئين الذين نعمل معهم لا يمكنهم الوصول الى متبرعين أو إلى أصحاب القرارات. فنلعب دوراً كالميكروفون مثلاً. ولهذا الأمر أثر على المدى البعيد. لقد شاركنا العديد من المقابلات والشهادات مع متبرعين قادرين على التأثير على السلطات والحكومات».

ويروي كل من الصحافيين ريان سكر وسميح محمود من «كامبجي» كيف أن علاقتهم مع الأشخاص تطورت خلال عملهم في النطاق. يقول محمود: «لم نكن بدايةً ذا تأثير يذكر، أما الآن فلدينا برنامج «أخبار من السطوح» حيث ننظر بعين نافذة الى نشرات الأخبار. إذا لم ننقل أي مشكلة، يكتب إلينا الناس ليسألونا عن السبب، ثم يتابعون حديثهم الخاص، منتقدين السياسيين وساخرين منهم». ويحكى كيف أنه، ذات مرة تلقى اتصالاً من شقيق أحد الشبان الذين قضا بصعقة كهربائية في أحد مخيمات بيروت. لقد اتصل الشقيق من أجل أن يتكلم ويزيل عنه الضغوط كافة».

«هذه هي أهمية الصحافة المستقلة للمواطنين واللاجئين». وقالت سكر: «أحياناً يؤتينا البعض ويسألوننا: «لماذا لم تأتوا الى منطقتنا، لم نركم هنا منذ مدة». وهذا التأنيب يسعدنا لأنه لو لم يحصل لعنى الأم أنهم لا يحبون عملنا».

إن العلاقة الوطيدة التي تحافظ عليها المنصة الصحافية «كامبجي» مع جماعة النازحين تسمح لهم برؤية المفعول الفوري لتقاريرهم. يقول محمود «عندما نذهب ونسأل عن أمر ما - مثلاً أزمات اقتصادية واجتماعية - قد يكون الشخص الذي نقابله جارٍ أحدهم. فيضيف وجهة نظره الخاصة ويبدأ الحوار عن أمور لم يطرحها أحد من ذي قبل. إن هذا الأمر بدّل صورة الصحافيين العالقة في ذهن المقيمين المخيمات. حالياً يأتي الناس ويطلبون هم منا أن نقابلهم. لقد أصبحت آلة التصوير جزءاً من حياتهم».

مع غص النظر عن مدى ارتباط معدّي التقارير بالأشخاص والجماعات التي يغطونها، يفترض أن يحدث عملهم أثراً معيناً. قد يكون الأمر على نطاق

ضيق، كأن يمنحوا الناس فرصة الحديث عن مواضيع تهمهم، أو رفع المشاكل المحليّة. في بعض الأحيان، يكون النطاق أوسع، كالإضاءة على القمع والظلم، ومن ثمّ التأثير على القرارات السياسية. في كلا الحالتين، إنّ مقدار الأثر الذي تُحدثه القصة يُترجم من خلال عملية إعداد التقرير منذ البداية حتى النهاية: إما أن يكون التقرير شاملاً صادقاً، وداعياً للتفكير، وإما أنه قد حصل من دون احترام الأشخاص المذكورين فيه.

إنّ العديد من الصحفيين وغير الصحفيين يأملون أن تنتج تقاريرهم أثراً إيجابياً. وما يضاعف من احتمال حصول هذا التأثير هو إعداد تقرير يتوقّف عنده الناس ويطرحون التساؤلات والانتقادات.

الأسئلة في هذا الفصل:

ما هي قدرة تأثير قصص الهجرة بما هو أبعد من مجرد نشرها؟

ما هو تأثير المقابلات على الأشخاص الذين يشاركون فيها؟

كيف يمكن للرواة حماية الأشخاص في قصصهم من تأثيرها عليهم؟